رسالة بغداد

رجال وإنحلال.. كتاب جديد للعلوي

19 شباط (فبراير)

يتجه المفكر السياسي الكبير حسن العلوي الى انجاز كتابه الجديد (رجال وانحلال).

وقال في رسالة نصية الى الدكتور قاسم داود اطلعت (الزمان) عليها امس (ان الكتاب يكشف مشروع انحلال الدولة بعد عام 2003 ومن هم رجال الانحلال وما كسبوا من ثمن؟).

وتضمنت الرسالة ايضا اعلان العلوي انسحابه من عضوية المنبر العراقي واعتذاره عن حضور الاجتماع المزمع عقده في 23 شباط الجاري بسبب ما وصفه بـ(انشغاله بوضع اللمسات الاخيرة لكتابه الجديد).

المسيحيون العراقيون .. متابعة تشخيصية للمونسنيور الدكتور بيوس قاشا

العمق الوطني والمحطات المؤلمة

عادل سعد
بغداد

(غيرتي على بيتك قتلتني)، لقد لخص السيد المسيح بهذه المكاشفة المؤلمة والتجلي المحق كل مسيرته الايمانية بما فيها من آلام وجلجلة وصلب، والحال ان المسيحيين العراقيين ظلوا أمناء في صبر ورباطة جأش لهذا المنهج على الرغم مما تعرضوا له من مخاطر جسيمة تكاثرت فيها كل أنواع الظلم والطغيان والنميمة والجهل والافتراء على حقائق الواقع، وبكل ما استخدم الظالمون من قتل واغتصاب وسلب وتغييب وعزل واختفاء قسري والضغط لتغيير انتماءات، واذا كان البابا فرنسيس يقول (لا يمكن ان نتصور الشرق الأوسط بدون مسيحيين) فإن من الصادق القول أيضاً لا يمكن ان نتصور التنوع الديموغرافي العراقي الاصيل بدون الاصالة التي يمثلها المسيحيون في هويتهم الوطنية الكلدانية السريانية الآشورية والأرمنية، وفي هذا السياق اجد ان ما اسلفت ضرورياً لتناول كتاب الصديق المونسنيور الدكتور بيوس قاشا الذي جاء بعنوان (في العراق المسيحيون اصلاء وشهداء، مضطهدون ومهجرون.

لقد تضمن الكتاب عدداً كبيراً من العناوين التي لابد ان تستوقف القارئ تاريخياً، في رحاب المسيحيين العراقيين هوية، وحاضراً، ومستقبلاً.

الكتاب جاء بسبعة ابواب، الباب الاول، تصدره عنوان المسيحية في نشأتها ووجودها ورسالتها، المسيحية ديانة سماوية عقيدتها ورسالتها، ثم توقف ضمن الفصل الأول عند عنوان المسيحية ازدهار واضطهاد، اما في الفصلين الثاني والثالث من الباب الاول فقد تضمن الكتاب عناوين بين المسيحية والابيونية، والمسيحية بشارة وإيمان وخلاص، وتساءل أيضاً المسيحية ام النصرانية، ومسيرة العقيدة المسيحية وتطورها وانهيار العالم الروماني القديم، وتطور الكنيسة في العصور اللاحقة، بينما تضمن الباب الثاني من الكتاب اربعة فصول هي المسيحيون بناة المستقبل في ميادين الحياة، مسيرة بناء، من اجل المستقبل، العرب المسيحيون، التكوين الحضاري العربي المسيحي.

اما الباب الثالث فقد احتوى على ثمانية فصول المسيحيون مشاريع استهداف والى اين، المسيحيون ضحايا الارهاب وقرابين استشهاد، المسيحيون والمواطنة الى اين، العنف والذمية خيارات مريرة، اوضاع المسيحيين تتجه نحوالمجهول، المسيحيون ضحايا المتعصبين والمتطرفين، الربيع العربي واي ربيع، الإنسان المسيحي هدف لا معنى له، تفريغ المنطقة من المسيحيين وماذا بعد، احداث ارهابية، طوائف الى اين، هروب وحصار،الارشاد الرسولي، توصيات السنودس، البطاقة الوطنية، مسيحيوبغداد في وقفة احتجاجية، رسالة بطريرك بابل الى الكلدان، وعند الباب الرابع، توقف الدكتور بيوس قاشا عند تاريخ المسيحيين العرب والمسيحية العربية، دستور الدولة، المسيحيون حاملوالنهضة العربية، المسيحيون بين العدد والتطرف والمفارقة، الوجود المسيحي العربي، المسيحيون العرب اصلاء وشركاء، المسيحيون ومبادئ المساواة، القانون الدولي، القوى السياسية ومسيحيوالعراق، المسيحيون في بغداد، اديان وطوائف اختلاف ام ائتلاف، المسيحيون اصلاء وليسوا اقليات، المسيحيون اقليات بلا حقوق، الاقليات الى اين معاناتهم وحقوقهم، وكل ذلك جاء ضمن اربعة فصول.

مسيرة المسيح

اما في الباب الخامس فيستعرض المؤلف مسيرة المسيحيين التاريخية عبر العصور الاسلامية ومراحل الحكم المختلفة منذ عهد النبي محمد والخلفاء الراشدين وما تعرضت له هذه المسيرة من مد وجزر واعتراف الباب العالي بالطوائف المسيحية ومسيرته في العصور المتأخرة وحتى عصر النهضة بما فيها نهضة المشرق العربي، ومن بين عناوين هذا الباب، تشكيل الدولة العراقية، وتناول اوضاع المسيحيين العراقيين خلال فترة الحكم الملكي،ثم فترة الحكم الجمهوري حتى ٢٠٠٣، ويستعرض الدكتور بيوس قاشا مرحلة ما بعد ٢٠٠٣ في اطار عناوين عن مشاريع الاضهاد ومحاولة إلغاء الوجود المسيحي، واضهادهم في الشرق وقيام ما يعرف بالدولة الإسلاموية، وجاء كل ذلك ضمن سبعة فصول، ام الباب السادس من الكتاب فقد تضمن فصلين بعناوين عن الكنائس في العراق بطوائفها واحصائياتها، واعلان تأسيس مجلس رؤساء الطوائف، والكنائس الانجيلية الوافدة، وجداول كنيسية احصائية.

اما الباب السابع فقد تم تصنيفه على اساس انه ملاحق مقالات ورسائل، رسالة مهجرة الى الرئيس اوباما، رسالة مهجرة الى قداسة البابا فرنسيس، رسالة مفتوحة الى السيد عمار الحكيم، انظارنا نحوديارنا، صرخة موجعة، طلب بحث وزير الخارجية الامريكي باعتبار مسيحيي الشرق الاوسط ضحايا للإبادة الجماعية، استنتاجات وانتهاكات، جداول بيانية تتضمن نسبة قتل المسيحيين بوسائل مختلفة، وما اصاب المحافظات العراقية من هذا القتل ، واستهداف الاطفال والشيوخ وبقية الاعمار والنساء والكفاءات ورجال الدين، ثم تضمن صوراً توثيقية بينما تضمن الملحق السادس، صلاة المهجرين (النازحين).

في المقدمة اشار الدكتور بيوس قاشا الى ان (الحفاظ على المسيحيين المشرقيين وحماية وجودهم في اوطانهم ومناطقهم التاريخية يتوقف على عوامل عديدة في مقدمتها توفر "رغبة اوارادة اسلامية" حقيقية ببقاء المسيحيين المشرقيين في اوطانهم دون قيد اوشرط، والقبول بهم كشركاء حقيقيين للمسلمين بكامل الحقوق والواجبات في هذه الأوطان، وهذه الرغبة يجب ان تقترن بأعمال وأفعال في الحياة اليومية.

إن المسيحيين المشرقيين _وبسبب سيكولوجيتهم التاريخية ووضعهم الأقلوي وبسبب ضعف الأطر والتشكيلات التقليدية للمجتمع الأهلي المسيحي كالعشيرة والقبيلة وغيرها _هم أكثر الشرائح التصاقاً بالدولة واعتماداً عليها في تحصيل حقوقهم.

في دول المشرق العربي الإسلامي تتفشى ظاهرة الفساد والتهاون في تطبيق القانون الأمر الذي يشجع المتعصبين والحاقدين على النيل من المسيحيين والتعدي عليهم والتجاوز على حقوقهم، هذه الأوضاع الشاذة تستوجب تدخل الحكومات واتخاذ إجراءات وتدابير إستثنائية من شأنها تعزيز وازدهار الوجود المسيحي لديها.

استهداف منظم

إن الاستهداف المنظم لمسيحيي العراق _خاصة بعد قتل العشرات وتهجير الآلاف من مسيحيي مدينة الموصل "نينوى" ومن غير أن يكونوا طرفاً في الصراعات القائمة بين مكونات العراق ومذاهبه وقومياته الإسلامية _رجّحت جهات ومرجعيات مسيحية عراقية وغير عراقية وجود مخطط لإفراغ العراق والمنطقة من المسيحيين، تشترك فيه أطراف محلية وإقليمية ودولية مستفيدة من وجود بيئات ثقافية وإجتماعية معادية للمسيحيين تستغل الحملة الأمريكية في تضليل المسلمين على أنها حملة غربية على الإسلام والمسلمين، تساعدها على ذلك _ بشكل أوبآخر _بعض وسائل الإعلام والفضائيات العربية والإسلامية الرسمية والخاصة التي أصبحت منبراً مفتوحاً لفقهاء الإرهاب والقتل، ولتأجيج العداء الآيدولوجي للغرب الأورَوبي الأميركي وضمناً للمسيحيين عامة).

تاريخ موفق

وما يحسب للباحث بيوس قاشا العرض التاريخي الموفق في تناول مسيرة المسيحية في العراق واضعاً ميلاداً لهذه المسيرة بانهيار سد مأرب في اواخر القرن الاول الميلادي الى نزوح القبائل العربية حيث اتجهت هذه القبائل نحوالمناطق الشمالية الشرقية وكان من بين النازحين رهط من اولاد معن بن عدنان _الذين وصلوا ارض الرافدين _وكان معهم أبناء من قبيلة قضاعة، واتفقوا مع افراد من قبائل الأسد وتحالفوا معهم وسمي هذا التحالف ب "تنوخ" وأسسوا مملكة التنوخين الاولى في القرن الثاني الميلادي، وأعقبهم اللخميون في بدء العهد الساساني ودام حكمهم حتى مجئ الإسلام، وسمّيت مملكتهم ب "مملكة التنوخين واللخميين اوالمناذرة"، وكانت الحيرة عاصمة هذه المملكة وتقع جنوب الكوفه. إختلف المفسرون لمعنى كلمة "الحيرة" إلا ان اكثر التفسيرات تقول ان اصل الكلمة "حيرتا" وهي كلمة آرامية وتعني "الحصن اوالمعسكر اوالدير".

وهكذا و(حقيقةً لا يختلف عليها إثنان وهي: ان الكلدوآشوريين بكل تسمياتهم _آشوريون، كلدان، سريان _هم سكان بلاد ما بين النهرين الأصليين، فهم ورثة السومريين والبابليين والآشوريين والكلدان الذين سادوا بلاد ما بين النهرين في حقب التاريخ المختلفة وتمتد جذورهم في اعماق التاريخ في هذه البقعة المباركة _التي باعتراف علماء التاريخ والأعراق إنها كانت مهد الحضارة الإنسانية الأولى _التي على ارضها وضع أجدادهم اللبنة الأولى للمعرفة الإنسانية بكل حقولها، فهم ليسوا غرباء بل أصلاء).

المؤلف قاشا أيضاً توقف كثيراً عند شهادات ومتابعات لمؤرخين تناولوا الشواهد والمعالم المسيحية العراقية ودور المسيحيين في نهضة المشرق العربي، ثم توقف عند وجودهم بعد تشكيل الدولة العراقية عام ١٩٢١ مبيناً نوعين من الاستراتيجية التي اعتمدتها الكنيسة منطلقة من الحكمة التي قالها المسيح "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، هذه هي الاستراتيجية الاولى، اما الثانية فتتمثل برفع جميع الحواجز بينهم وبين اخوانهم في الوطن سواء كانوا على دينهم أوطوائفهم أومن غيرها. ولكي لا نخوض في التفصيلات المذهبية للطوائف المسيحية علينا ان نشير الى ان كل الكنائس العراقية ظلت ضمن هذا المنهج وكلها أيضاً تعرضت الى الاضطهاد في مراحل متعددة مع تباين قي نسب هذا الاضطهاد بين كنيسة وأخرى، غير ان ما حصل بعد التغيير عام 2003 اعطى صورة مؤلمة لما تعرض له المسيحيون من اضطهاد مؤلم تأسيساً على ما ارتكبه الإحتلال الأمريكي من فظائع أشار إليها المؤلف بالكثير من التفصيلات مؤكداً ان الامريكيين استهدفوا المسيحيين بالمزيد من الإمعان ثم جاءت صفحة الإرهاب بنزعتها الظلامية الضلالية الممعنة في الوحشية وما تعرضت له مواطن المسيحيين في سهل نينوى من اجتياحات مؤلمة كان من نتائجها التهجير والنزوح والقتل والاغتصاب والتغييب والسيطرة على الممتلكات باستخدام حرف "ن" على اساس ان كل عائلة من هذه العوائل نصرانية يحق عليها كل أنواع الفتك العدواني.

غلاف الكتاب

وللباحث المنسنيور قاشا رؤية على درجة من الواقعية في الاستنتاجات التي توصل اليها من اجل حماية ما تبقى من مسيحيي العراق ليس فقط بما يصون حقوق هذا المكون العراقي الوطني الاصيل وانما يصون المكونات الأخرى للكثرة المعنوية الوطنية التي يمثلها المسيحيون.

ان كتاب (في العراق المسيحيون اصلاء وشهداء مضطهدون ومهجرون) يمثل مصدراً معلوماتياً وتحليلياً على درجة من الاقناع وهوبذلك يخدم فكرة معرفية عالية للنخب التي تدرس واقع هذا المكون العراقي وكذلك لمن يريد أن يتعرف بالوثيقة والمعلومة عن حياة المسيحيين العراقيين، والمسيحيين في الشرق الأوسط.

الأوضاع الداخلية تلقي بظلالها على الشارع

تزوير الكتب ظاهرة سلبية في المتنبي

هدى سعد عبادي الفريجي
مصر

كان شارع المتنبي ولا زال يمثل الشريان الرئيسي لحياة المكتبات ودور النشر، والتي لها الأثر في تطوير صناعة الكتب وتوزيعها، فكان أصحاب المكتبات ودور النشر في هذا الشارع ممن لهم الباع الطويل في خدمة الثقافة والمعرفة، لما يتمتعون به من خبرة ودراية وعلاقات تتخطى حدود العراق، كأصحاب مكتبات المثنى والنهضة والعصرية. إلا ان الحصار الذي فرض على العراق عام 1990، وتغيير النظام الذي حدث في 2003 كان له الأثر الواضح على واقع هذا الشارع الذي تحول من شارع للمكتبات ودور النشر إلى شارع قرطاسية ومطاعم للوجبات السريعة، أما المكتبات المتبقية أوالتي فتحت بعد الإحتلال فقد أصابها من نتائج الإحتلال الشيء الكثير، وخاصة بعد توافر وسائل الإستنساخ والطباعة المتطورة، الأمر الذي أصبح معه التقليد والتزوير، أمراً سهلاً وهدفاً مادياً بحد ذاته، مما يؤدي إلى تجريد المؤلفين والمحققين لكتب التراث من حقوقهم المادية والمعنوية. كان الناشر إذا أراد إعادة طبع كتاب طبعة ثانية من الكتب التي نفدت طبعتها الأولى، فانه لا يتجاوز حقوق المؤلف ويطهر هذا واضحاً من خلال المقدمة التي يكتبها الناشر للطبعة الثانية أوالمقدمة الثانية للمؤلف أوالمحقق الذي يشير فيها إلى الأسباب الموجبة لإصدار الطبعة الثانية.

رواد شارع المتنبي يقلبون صفحات الكتب

اعادة طبع

وفي بعض الأحيان يقوم الناشر بإعادة طبع الكتاب بالتصوير أوبالإستنساخ وخاصة إذا كانت طبعة قديمة ونادرة كما كان يفعل قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى ويشير في ذلك بالعبارة (أعادت نشره بالأوفست مكتبة المثنى في بغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب) دون أن يتلاعب بأسم الناشر أوسنة النشر، فالكتاب يبقى كما هوعدا الملاحظة أعلاه. أوكما يفعل بعض أصحاب دور النشر في مصر بعضهم وليس كلهم- فيشيرون بعبارة: (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب 1926) مثلاً. فيتبين من ذلك ان طبعة الكتاب وإن كانت مصورةإلا انها لم تكن مسروقة كما يحصل الآن أوكما رأيت في معارض الكتب في بغداد أوالقاهرة وغيرهما. وهذا لا يقتصر على بلد معين، بل في جميع بلدان العالم ولوبشكل متفاوت. وهذا لا يمكن ردعه بقانون كتب قبل أكثر من أربعين سنة في العراق- ولوأن سلطة الأئتلاف المؤقت غيّرت بعض مواده بموجب أمرها المرقم 83 في 1 /5 /2004 المنشور في جريدة الوقائع العراقية ذي العدد 3984حزيران 2004. والقائمون على سوق الكتب اليوم لم يكونوا من ذوي الإختصاص والثقافة إذا استثنينا القليل منهم، بل هم باعة. والسرقة هذه تشبه سرقة من يسرق شيئاً ثم أعطاه للبائع ليبيعه، فالسارق بالنسبة للمشتري غير معلوم أما السلعة المسروقة وأما البائع لها أمام المشتري. أما مادة الكتاب وأما الفكر الذي بذل فيه وأما الليالي التي أمضاها المؤلف في كتابته ومراجعته ما كتب، كل هذه يأخذها السارق بالمجان. ولدي مثال على ذلك في أكثر من كتاب: الكتاب الأول يقع في جزأين ولكنه مجلد واحد، فعندما أراد الناشر الجديد أن يستنسخ هذا الكتاب فأنه يحذف الدار الناشره وسنة الطبع وكتب أسم مكتبته وسنة 2018.. ولكنه نسي الجزء الثاني متبقي على حالته الأصلية . اما الكتاب الثاني فانه طبع في جامعة كامبرج فأخذه صاحب دار النشر الجديد، وحذف مطبعة جامعة كامبرج ووضع اسم دار النشر الخاصة به.. مع الإبقاء على الورقة الأخيرة التي ذكر فيها اسم مطبعة جامعة كامبرج وسنة الطبع الأصلية! إنه شر استشرى، ولم يعد في كتاب أوكتابين. بل أصبح تجارة واسعة لا تخص بلداً معيناً. فغير العارف بأمور الكتب والأمانة العلمية ينطلي عليه مثل هذا التزوير الذي لا يغتفر ووا أكثره!.

حماية مؤلف

ومع التطور الحاصل، ونظراً لعجز قانون حماية حق المؤلف العراقي رقم 3 لسنة 1971 -المعدل- من معالجة كثير من حالات الإعتداء والتي تساعد الجامعات العراقية عليها من خلال المقررات الدراسية المستنسخة أوالمزورة بطبعاتها، أومن خلال القائمين على عملية شراءالكتب.. وهؤلاء أما موظفون في لجنة المشتريات جاهلين بأصول الكتب وطبعاتها وما أكثرهم أوموظفون يرسلون للتعاقد مع مكتبة ما للشراء منها، سواء كانت هذه المكتبة داخل العراق أوخارجه وأرجح ان التعاقد قد يتم خارج العراق، نظراً للإفادة من إمتيازات الإيفاد.

تحمل مسؤولية

ولكن من يتحمل المسؤولية في ذلك؟ سرقة جعلها العلم الحديث لا تكلف شيئاً غير ثمن الورق. وعسى ان نجد في القول الآتي ما يبرر الأخذ به في ميدان التجاوز على القانون، يقال في الطب الوقائي: " إنّ الوقاية من المرض خير من علاجه ومداواته"، لان الوقاية تعني قيام أسباب الجريمة قبل وقوعها فعلاً، أما المكافحة فهي ما تتخذه السلطة لمعالجة الموقف بعد وقوع الجريمة. ان مردود هذه الوقاية يصبح في غمره أهداف التجاوز وتعدد وسائله، وقد يرجع في أساسه إلى عدم تطبيق القانون، نظراً لعجز وسائل تطبيقه أولتجاهل القانون نفسه من قبل القائمين عليه. وبعد، ما عسانا أن نفعل بعد أن تزايد الإعتداء على حقوق المؤلفين، ولكن هل بإستطاعتنا ان نضع قوانين جديدة لآليات تسويق الكتاب وسط هذه المعطيات التي نراها والقيم المادية التي تمارس في إطار صناعة الكتاب، وسط قصور واضح في حماية حق المؤلف أدبياً ومادياً، وفي ردع سُراق جهود المؤلفين، هؤلاء الذين جعلوا فكر الغير مصدراً من مصادر تجارتهم. ولكن من يتحمل المسؤولية؟ إن وزارة التعليم العالي وهي منتجة ومستهلكة للملكية الفكرية، عليها ان تضع في إعتبارها الكتاب المقرر وكيفية تداوله ومنافذ بيع الكتاب، الا ان هذا غير حاصل، بالإضافة إلى وزارتي الثقافة والتربية، اللتين تتحملان بعضاً من المسؤولية. وبعد، علينا أن نجد القوانين الرادعة لإرتكاب مثل هذه الأفعال، وبعبارة أخرى ما هي المرحلة أوالمراحل التي قطعناها اليوم في سبيل تهيئة وقاية مجدية أوعلاج صحيح للمشكلة؟ لأننا لودرسنا أسباب مصائبنا وخطوبنا دراسة شاملة نتقصى فيها أسباب التخلف في تطبيق القانون الذي لا يمكن أن يؤدي غرضه المطلوب إلا إذا أعدنا النظر بمستلزمات تطبيقهُ، لأننا مازلنا نتكيء على القانون دون أن نستلهم منه كيفية إحترامه وتطبيقه، أوأن نرجع إلى كتب التراث نستفيد منها إذ لم تنفع القوانين. ككتاب (كشف أسرار المحتالين) للعلامة الجويري الدمشقي، وكتاب (اللصوص) للجاحظ!.

□ باحثة دكتورة في القانون الجنائي- جامعة عين شمس